

الرأى العام

للدكتور محمد مندور

الانتاج بتنمية الصناعة وحمايتها من المنافسة الأجنبية. والاجتماعيون لا يرب يسرهم أن يزيد الدخل العام للأمة، وهم ليسوا من خصوم الصناعة، ولكنهم سيحرصون على أن تكون وسائل الانتاج ملكا للأمة جميعا ولو بطريق التنازل، لا لفرد من الأفراد. وذلك لأنهم لن يستطيعوا صبرا على التفاوت القائم اليوم، ولابد أنهم سيمنعونه من أن يستفحل بظهور أثرياء الصناعة إلى جوار أثرياء العقار. وإذا كتب للاجتماعيين الغلبة فلن يتركوا مشكلة توزيع الثروة تغيب عن الأذهان تحب شباب صرب من الحرص على تنمية الثروة القومية وتعزيز استقلال اقتصادى موهوم، لو حدث ذلك لتحررت عندئذ أزواج ملايين من البشر، وارتفع مستواهم النفسى، فكان لهم صوت فى تكوين الرأى العام.

والعامل الثقافى يطالعك فى دور العلم وفى فنون الصحافة. والذى لا شك فيه أنه لا مدارسنا العامة ولا صحافتنا بقادرة فى وضعها الحاضر على أن تكون رأيا عاما. والمدرسة العامة روحها الدرس، وباستطاعتك أن تغلب البصر فيمن تلقى من مدرسين، فما أظنك واجدا الكثيرين بينهم ممن لهم فلسفة خاصة فى الحياة. ولنا نقصد بالفلسفة الخاصة آراء بعينها فى الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب، بل نرى إلى حالة من النضوج الفكرى والعاطفى تمكن صاحبها من أن يتخذ له موقفا محددًا من الناس والأشياء، فيعتقد مثلا أن المادة هى عصب الحياة، أو أن الروح هى محركها الخفى، ويكون من المؤمنين بإطراد التقدم فى الإنسانية أو القائلين بتراجعها بين الد والجزر. وقد يعالج مشاكل الحياة بالجد الحار أو بالسخرية الباسمة، وقد يتناولها بالثقة المفضلة أو الحذر المتشائم، ونحو ذلك من أنواع الفلسفات الشخصية التى لا بد أن تتصف بإحداها كل نفس ناضجة. وهذه الفلسفة الشخصية هى التى تمكن المدرس من التأثير فى تلاميذه تأثيراً باقياً، وذلك لأنه يستطيع عندئذ أن يعطيهم ضوءاً هادياً فى الحياة، وبفضل هذا الضوء يستطيعون بدورهم أن يحكموا على مختلف الأمور. ومن البين أن الرأى العام يتكون من تفاعل مجموعة الأحكام الفردية. وإذا دام معلنا لأفلسفة له، وسادام كبار مفكرينا وأساتذتنا

لا يستطيع الناظر فى حياتنا العامة أن يطمئن إلى وجود رأى عام بالمعنى المفهوم فى بلاد الغرب، وتلك ظاهرة ترجع فيها يبدو إلى عاملين كبيرين: أولهما اقتصادى، وثانيهما ثقافى. ولنا فى حاجة إلى التدليل من جديد على فساد توزيع الثروة فى مصر، وتلك آفة قديمة ستبقى هذه الأمة فى علاجها مشقات كبيرة، ولكنها ستعالج يوماً ما. وإذنا نكتفى بإيضاح نتائجها فيما نحن بصده من وجود رأى عام أو عدم وجوده. وأمتنا تنقسم فى جلتها إلى طبقتين: أغنياء وقراء، وأما الطبقة الوسطى فلا تزال فى بدء تكوينها. وكبار الأغنياء بطبيعتهم قوم مترفون أنانيون يسخرون من الاهتمام بالمسائل العامة التى لا تعنيهم إلا فيما عس مصالحهم المباشرة. وأفراد الشعب تشغلهم مهام العيش ومشقاته حتى لا تترك لهم فراغا للتفكير الجدى فى الأمور العامة؛ والفقر ينال من قوة تفكيرهم فلا يستطيعون أن يتحرروا من إرادة الأغنياء. وعندما يكون المرء فى قبضة غيره، والحاجة إلى الكفاف من العيش تلاحقه، كيف تريد أن يكون حر الرأى. والملاحظ فى الأمم القريبة أن الطبقات الوسطى هى التى تكون الرأى العام وتعوده، وذلك لأنها الطبقة الطموح، ثم لأنها قريبة من الطبقة الدنيا التى تكون جبهة الأمة، وهى بحكم هذا القرب تعرف آلام الشعب وآماله كما تفهم عقليته. وهى طبقة جادة لا تعرف الاستهتار، تتمتع بقسط من الاستقلال المادى يعطيها القدرة على الصلابة فى الرأى ومواصلة الكفاح من أجله. ثم إنها طبقة مستنيرة تستطيع بما لها من ثقافة ألا تقف عند الرضا أو السخط، بل تستنيط الوسائل السكيفة بتحقيق الخير لعامة الناس. وليس من شك فى أن نهاية هذه الحرب ستشهد صراعا قويا بين ثيارين من التفكير: التيار الاقتصادى، والتيار الاجتماعى. ونحن على تمام الثقة من أن سفسطة الاقتصاديين لن تقف عند حد، فسيحاولون إيهام الشعب أن علاج الفقر الصحيح هو زيادة

من يلتزمون غذاء لأرواحهم ، إلا أنك - لواء الحظ - قلما تجد لاحداها قيادة عامة واتجاها روحيا واضحا ، وإعنا هي طائفة من الأقلام والمعلومات لا يجمع بينها غير غلاف الصحيفة ؛ ولهذا قلما تكون صحيفة منها مدرسة خاصة في الحياة . وإذا كنا لم نصل بعد حتى في مجال السياسة إلى خلق صحافة تعبر عن مذاهب الحكم المختلفة وتفاضل دونها ، مع أن السياسة أمر يهم الملايين من البشر ، فإنه لا ريب يكون من تعجل الأمور تتجلا مسرعا أن نتطلع إلى صحافة ثقافية موحدة الاتجاه ، مع أن الثقافة بطبيعتها ميدان الخواص ، ولكنني مع ذلك لا أفهم لماذا لا تكون لدينا مجلات تتحسس لتيارات التفكير المختلفة ، وتحاول أن تجمع حولها النفوس . ولكم من مرة يدالك أحد الغربيين عن الاتجاه الذي تتميز به هذه المجلة عن تلك ؟ فلا تستطيع جوابا . ونحن لا نقصد بذلك إلى المجلات الخاصة ، بل نصب القول على المجلات العامة ، فهذه هي التي نزع أن من الممكن بل من الواجب أن تكون لها روح عامة برغم تنوع موضوعاتها . وعندما تعدد أمثال تلك المجلات وتفاعل تياراتها المختلفة سيبدأ الرأي العام في أن يتكون .

الرأي العام وليد لفلسفات فردية تشع في المجتمع . والمجتمع بدوره لا يستطيع أن يتمثلها إلا إذا تركت له الحياة الاقتصادية من الراحة والفراغ ما يمكنه من تأملها . وتلك الفلسفات لن تنمو إلا عن طريق العلم أو الصحافة ، وإصلاح الأخيرين لا يمكن أن يتم بقرار من قرارات الدولة ، بل ولا قانون من قوانينها ، وإعنا لا بد لتحقيقه من ستين طويلة تفضاfer فيها جهود الأفراد والحكومات . ولا بد لنا من أن ننتظر ، مع استمرارنا فيما نحن بسبيله اليوم من فتح المدارس والجامعات ومناقشة مناهج الدراسة والتعليم ، وحسن القيام على دور التمثيل والسينما ومحطات الإذاعة وما شابهها من وسائل نشر الثقافة بين الشعب . وإن يكن هناك ما نستطيعه لساعتنا فهو تمديد الجمهور أن يتعجز ما يدفعه والممدود له عندما تدفعه غرائزه الدنيا إلى التماس اللذات الرخيصة .

الرأي العام لم يتضح بعد في بلادنا ، ولكن لا عجل لليأس فنحن سارون إلى الأمام ، وما علينا إلا أن نواصل السير في ثقة وشجاعة .

محمد مندور

لا يعرفون كيف يزودون هذا العلم بتلك الفلسفة ، فما أظننا مستطيعين أن نجعل من مدارسنا بؤرات لتكوين الرأي العام . وأهول ما أخشاه ألا نجد من بين أساتذتنا وكبار مفكرينا أنفسهم نفرا كافيا يصدرون عما نتحدث عنه من فلسفة شخصية ، وما على القارىء إلا أن يستعرض الأسماء المعروفة ليحاول أن يجد فلسفة كل منهم . ولقد يجد لأغلبهم مجموعة من الكتب أو طائفة من الأبحاث ، ولقد يكون في تلك الكتب وتلك الأبحاث مجال ومثمة ، ولكنه سيجد مشقة في أن يستخلص منها روحا عامة وفلسفة جامعة . وعند ما يخرج التلاميذ من المدارس ، وليس لكل منهم اتجاه روحي معلوم ، لن تجد غمراة في أن يعجزوا عن حمل الصحافة على تقديم غذاء صالح للشعب . والصحافة كما هو معلوم صحافة إخبارية أو صحافة رأي . والأولى وإن لم تخل من أثر على الرأي العام بحكم تغيرها لنوع الأخبار التي تنشرها وتلونها لتلك الأخبار ، إلا أنه في نهاية الأمر أثر محدود . وعلى العكس من ذلك صحافة الرأي التي تتكون في بلادنا من بعض الصحف اليومية ثم معظم المجلات الأسبوعية . وما دامت الصحف ملكا لأفراد أو شركات وكان هدفها الأول هو الربح المادي ، فما أظن أننا نستطيع أن نرجو من ورائها خيرا كثيرا في تكوين رأي عام سليم ، وذلك لأن حرصها على الانتشار يدفعها إلى اللعب على غرائز القراء ، فلا تجد فيها إلا فتنا سياسية تدور حول كبار الشخصيات ، ولا ترضى في القارىء غير حب استطلاع خبيث ، أو تهريجا ديماجوجيا يولول لآلام الشعب ويلوح له بأمال خادعة دون أن يدرس مشاكلكه دراسة جدية ، ويقترح لملاحيها الوسائل المجدية . وأخيرا ترى إثارة الفرائز الجنسية اعتمادا على ما تنزله حياتنا الاجتماعية بنفوس الشبان من كبت . وإنه وإن يكن من الثابت أن أكثر الصحف انتشارا في مصر ، ليس أكثرها تأثيرا في الرأي العام بحكم أنه كلما ازداد جمهور الصحيفة كان جمهور محلية وتزجية فراغ ، إلا أنه مما لا شك فيه أن أمثال هذه الصحف تقوم بعملية هدم كبيرة ، فهي تهوض الجدية في النفوس ، كما تحل الأخلاق وتعود العقول الكسل . وأنت إذا وجدت إلى جوار أمثال تلك الصحف ، صفحا أخرى قليلة الانتشار ولكنها جدية مؤثرة باعتبار أن قراءها